لعدة
الماء في
ومفاداة
لى أغلى

العمل :
نوعية
وق الى
بالارادة

معجم تاريخي للأماكن والبلدان الجزائرية

نموذج للأعمال المنجزة في هذه الوحدة

مادة : حصن فرنسا (الباستيون)

معجم تاريخي للأماكن والبلدان الجزائرية
نموذج للأعمال المنجزة في هذه الوحدة
مادة : حصن فرنسا (الباستيون)

ناصر الدين سعيدوني : رئيس الفرقة*
معهد التاريخ

حصل توماس لنش (Thomasso Linches) التاجر المرسيلي والكرسيكي الأصل ، وكارلان ديديي (Carlin Didier) على امتياز صيد المرجان والتجارة بالسواحل الشرقية الجزائرية اعتماداً على ما تخوله الامتيازات الفرنسية في الولايات العثمانية والتي تعود الى عام 1535م . مما سمح لهما باقامة حصن صغير على بعد 12 كلم غرب مركز القالة و48 كلم شرق مدينة عنابة ، عرف بحص فرنسا (Bastion de france) وقد تم شراء الأرض التي أقيم عليها الحصن من القبائل المجاورة من طرف لانش وديديي اللذين كونا شركة امتيازات عرفت بـ «شركة صيد المرجان (la Nostra Compagnia della pesca de Coralli de Buana) وكانت تضم بعضا من التجار المرسيليين ، وقد بلغ عددهم مع تطور الشركة عام 1564م ، أحد عشر عضواً عرف منهم بجانب لانش وديديي كل من ريشيتي J. Richetti والبرتاس Albertas وداي ساك J. Daysac وبوسي Busset.

بني حصن فرنسا حوالي 1550 على أراضي قبيلة معزولة Mazoula بالقرب من التكوينات المرجانية الغنية بالشرق الجزائري . وقد عرفت هذه المؤسسة أولاً بامتيازات معزولة Concessions de la Mazoula أو بحصن مسكاريس القالة قبل أن يطلق عليه اسم حصن فرنسا الذي ظل يعرف به حتى تهديمه وتحوله الى أنقاض أواخر القرن السابع عشر الميلادي (1679) .

يتألف حصن فرنسا من بناء ضخم يضم ساحتين (Cours) إحداهما تقع الى الشمال حيث توجد مخازن الحبوب والسلع وبعض الغرف المخصصة للموظفين القائمين على المؤسسة ، والساحة الثانية وهي أكثر اتساعاً وتنفتح على الساحل الرملي حيث ترسو قوارب صيد المرجان ، وبين

(*) **ملاحظة :** فرقة وحدة معهد التاريخ التي تقوم بإنجاز معجم تاريخي للأماكن والبلدان الجزائرية تتكوّن من الأساتذة : ناصر الدين سعيدوني رئيساً ، ومحمد الهادي حارش ، وياسمينة شايد ، وأحمد شريفي ، وبوعزة بوخرساية ، وغطاس عائشة ، وقويدر بشار أعضاءً ، وهي تغطي فترات التاريخ المختلفة (ما قبل التاريخ ، القديم ، الوسيط ، الحديث ، والمعاصر) وسوف تنجز حوالي 200 مادة تاريخية تكون تمهيداً لوضع دائرة معارف جزائرية فيما يخص الجانب التاريخي الجغرافي .

الساحتين في اتجاه الجنوب توجد عمارة كبيرة تقيم بها حراس الحصن وتنتصب فوقها ثلاث مدافع من الصلب ، وهذا البناء هو الذي يعرف خاصة بالباستيون ويقيم به بصفة دائمة ثلاث الى خمسة أشخاص يعود إليهم النظر في أمور الحصن .

تعود أهمية حصن فرنسا الى كونه محطة رئيسية في الطريق بين حصن القالة ومدينة عنابة ، اذ يقع حصن فرنسا فوق نتوء صخري (un promontoire rocheux) يشرف على البحر مر بعيد محاط بكثبان رملية عالية مكسوة بالأعشاب والنباتات البرية وتفصله عن الجهات الداخلية أراضي تتخللها المستنقعات وتنتشر بها الغابات الكثيفة ، وهذا ما جعله في منأى عن الهجمات المباغتة للسفن أو للقبائل المجاورة ، ومما زاد في أهميته اتصاله بجون صغير anceمحمي من الرياح الشرقية والغربية بواسطة كثبان الرمل ويمكن جر القوارب منه في فصل الشتا Hivarnageالى بحيرة الملاح التي تقع بالقرب منه وراء أكمة بو مالك الرملية .

أصبح حصن فرنسا يضم مجموعة أعوان تحت امرة قائد الحصن الفرنسي يقدر عددهم ما بين 45 و 50 فرداً وقد حاول الفرنسيون اعتبارهم حامية وجعلهم رأس جسر لانزال قوات فرنسية على السواحل الافريقية عندما تسمح لهم الظروف وتوجيه نشاطهم لجمع أكبر كمية من الحبوب بغض النظر عن شح الأقوات وتضرر السكان بالمجاعة ، مما دفع الجزائريين الى التضييق على الحصن ومهاجمته كلما شعروا بأن الفرنسيين قد تجاوزوا الصلاحيات التي خولتها لهم حقوق الامتيازات كما حدث في سنتي 1591 و 1604، وفي بعض الأحيان يتولى هذه المهمة بايعاز من البايلك رجال قبيلة معزولة كما حدث عام 1568 .

كاد حصن فرنسا أن يتحول الى أنقاض عندما تعرض لهجوم علي بتشيني بأمر من ديوان الجزائر سنة 1637 ، فقد ظل مهجوراً الى عام 1640 ، وحتى بعد بنائه من جديد تلبية لرغبة قبائل الحنانشة عملاً بالاتفاق الفرنسي الجزائري الموقع في 7 جويلية 1640 تعرض من جديد للتدمير عام 1658 رداً على سلوك بيكي Picquetمدير الامتيازات غير المقبول في نظر السلطات الجزائرية وبذلك تعطل نشاط الحصن حتى منتصف القرن السابع عشر (1662م) .

كان للفوائد التي تحصل عليها الفرنسيون من الحصن باعتباره مخزنا ونقطة جمع للمواد الأولية الموجهة للأسواق الفرنسية من حبوب وجلود دخل في اهتمام حكام فرنسا بالحصن وحرصهم على تجديد بنائه وابقاء وسطاء تجاريين به ، فقد شجع كل من الملك الفرنسي لويس الثالث عشر (Louis XIII) والدوق دوغيز (Duc de Guise) صاحب الامتيازات التاجر صامصون نابولون (Samson Napollon). على اتمام عمارة الحصن اثر تعرضه للهدم عام 1551 ، وقد أعطى الملك لويس الثالث عشر في هذا الصدد أوامره لحاكم ناربون (Narbonne d'Orgen court) باعتباره

المهندس العام للبلاط أن يقوم بعملية تجديد الحصن ، فحمل هذا المهندس من مرسيليا المواد الضرورية للبناء وأعاد تشييده من جديد على بعد ثلاثة أميال من مكان الحصن القديم (1626) وقبل اتمام العمل بالحصن تعرض العاملون به لمهاجمة قوات القبائل المحلية مما اضطر المهندس والعمال الى الانسحاب فبادر الملك الفرنسي بتكليف صامصون نابولون مباشرة باتمام البناء وتكفل الدون دوغينز بتغطية ثلثي مبالغ البناء ، فقام نابولون ببناء الحصن اعتمادا على ما يسمح به الاتفاق الجزائري الفرنسي الموقع في 20 سبتمبر 1628 والذي التزمت فيه فرنسا عن طريق صامصون نابولون بتقديم اتاوة سنوية مقابل امتيازات الحصن تقدر بـ 26000 دوبل موجهة لتسديد أجور الجند الجزائري مع مصاريف اضافية جعلت قيمة الامتيازات الإجمالية ترتفع الى 1357,44 جنيه ، لكن هلاك نابلون عند مهاجمته للجنوبيين بحص طبرقة (11 ماي 1633) لم يسمح باتمام بناء بقية مرافق الحصن .

ظل الحصن مستودعا للبضائع ومركزاً لصيادي المرجان ومحطة لقوافل قبائل الجهات الداخلية فقد ساهم مع محطة رأس نيقرو (Cap Négro) بالساحل التونسي في تزويد فرنسا بالحبوب أثناء تعرضها للمجاعة فشحنت منه ومن القالة كميات من الحبوب تقدر بـ 1.200.000 كيلة (Saptiers)حسب محاضر اتفاقية السلام الجزائرية الفرنسية لعام 1689 وهذا ما جعل فرنسا تحرص على تأكيد طابع الحصن التجاري في معاهدتي الجزائر مع فرنسا لعامي 1694 و 1720 .

هذا وقد هجر الفرنسيون حصن فرنسا أثناء النزاع الجزائري الفرنسي الطويل في أواخر القرن السابع عشر ، وتحولوا عنه نهائياً لسوء الحالة الصحية به عام 1679 ، وبذلك تحول النشاط الفرنسي التجاري في اطار الامتيازات من حصن فرنسا الى حصن القالة . ولعل أهم الأسباب لاهمال الحصن من طرف الفرنسيين هو الخوف من تكرر الهجمات الجزائرية ، وانتشار حمى المستنقعات به ، فقد هلك من جراء هذه الحمى 400 عامل في ظرف سنة (1679) .

تحول الحصن الى أنقاض حسب وصف الكاتب هوبانستراست (Hebenstrast)الذي مر به عام 1732 والطبيب شاو (D. Shaw)(1722 – 1730) وبذلك تركزت الامتيازات الفرنسية للتجارة وصيد المرجان ، بالشرق الجزائري بمركز القالة .

حاول الفرنسيون في فترة متأخرة اعادة ترميم حصن فرنسا بمناسبة الاحتفالات بالذكرى المائوية لاحتلال الجزائر (1930) وذلك باعتبار هذا الحصن احدى المعالم التاريخية التي تؤكد الوجود الفرنسي بالسواحل الافريقية ، وقد تكونت جمعية لهذا الغرض في 24 فيفري 1929 تضم فرنسيين من أصل كورسيكي عرفت بجمعية حصن فرنسا la societé de Bastion de France

وجعلت هدفها اصدار نشرية Bulletin للتعريف بتاريخ الحصن والعمل على بنائه من جديد احياء لذكرى صامصون نابولون أول حاكم للحصن ومتولي المؤسسات الملكية الفرنسية بافريقيا وتقديراً للمساهمة الكورسيكية في تاريخ افريقية الشمالية في الفترة الممتدة من 1530 الى 1633 على أن هذا العمل لم يكتب له النجاح ، فقد ظل الحصن أنقاضاً متناثرة تحيط به الكثبان الرملية وتغمره الأعشاب البرية .

المراجع المعتمدة :

- سعيدوني ناصر الدين حصن القالة وحصن فرنسا ، بحث قدم للمتحف المركزي للجيش (1988) .
- الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الجزائر د . ت .
- غطاس عائشة ، العلاقات الجزائرية الفرنسية ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 198 (غير مطبوع) .
- قنان جمال معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 – 1830 ، الجزائر 1987 .
- نايت بلقاسم ، ملود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 الجزائر ج 2 35 .
- Bouyac (R.) : Histoire de Bône, Bône 1992, pp. 85-88.
- Canard (M.) : Une Description de la Côte Barbaresque au XVIIIe siècle par un officier de la marine russe (Kokoutsov) in Revue Africaine T. 95-1951, p. 178.
- Dapper (d'O.M.) : Description d'Afrique, Amsterdam 1686, p. 188.
- Emerit (M.) : La Calle et son histoire, Alger, 1951 pp. 24-25.
- Filippi : L'Œuvre de la société de Bastion de France, in Revue Africaine T. 56-1936, pp. 271-273.
- Hebenstreit (J.E.) : Voyage à Alger en 1732, in Nouvelles Annales des Voyages et des Sciences Géographiques 2ème série, T. 16-1830, p. 67.
- Lanfreducci et Bosio, Costa e discorsi di Barberia, sept. 1587, trad. par Gran champ et notes de Montchicourt, in Revue Africaine, T. 66-1925, p. 520.
- Le Roy (M.) : Etat général et particulier du Royaume d'Alger (La Haye S.D., p. 170.
- Masson (P.) : Histoire des Etablissements et du Commerce Français dans l'Afrique barbaresque 1560-1793,Paris, 1903.
- Peyssonnel (J.A.) : Voyage dans la Régence de Tunis et d'Alger, pub. par L. Valenti, Paris 1986.
- Savary (J.O.) : Le Parfait négociant ou instructions générales pour ce qui regarde le commerce des marchandises de la France et des pays étrangers, 7e édition, Paris 1712, p. 747.
- Shaw (D.) : Voyage dans la Régence d'Alger, trad. par Mac Carthy, Paris, 1830, p. 342.

جديد
ريقيا
1633
كثبان

– Bouya
– Canar
russe (K
– Dapp
– Emeri
– Filipp
– Heber
Géograp
– Lanfr
Montch
– Le Rc
– Masso
1560-17
– Peyss
– Savar
marchar
– Shaw